مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: 01 جويلية 2021
العنوان: أهمية النص الديني في تقوية الضبط الاجتماعي... ص.ص 488- 516.

أهمية النص الديني في تقوية الضبط الاجتماعي.
مقاربة سوسيولوجية لتأثير النص الديني على الضبط الاجتماعي في كتاب التربية الإسلامية لتلاميذ التعليم المتوسط.

د. محمد بن حليمة
جامعة الجزائر 02 «أبو القاسم سعد الله»
mbenhalima70@gmail.com
تاريخ الإرسال: 2020/03/12؛ تاريخ القبول: 2020/10/19

The religious text in the Algerian educational system. A sociological approach to the impact of the religious text on social control through the textbook - Islamic education - for middle school students.

Dr. M. BENHALIMA

Abstract:

The religious text contains many standards and values, and in the social imagination of the Muslim individual it represents a lot of holiness and the need for respect, and if we add to it the support of the family and society. The planning and conduct of a sound educational system, all of this puts the learner in a state of consanguinity, indecision and apathy for the standards and values contained in the religious text that represent social and religious discipline in its true and complete meanings.

The educational system provides the learner with religious text within many educational units showing the entities that contribute to the teaching and upbringing of the learner with religious and social guidance and development through compliance with orders and norms based on ethical values and standards, which make the learner acquire these values and thereby protect himself from deviant behavior.

Key words: Religious text; social adjustment; educational system; textbook; educational units;

الملخص:

يحتوي النص الديني على الكثير من المعايير والقيّم، ويمثل في المخيال الاجتماعي للفرد المسلم الكثير من القدسية وضرورة الاحترام، وإذا أضفنا له دعم الأسرة والمجتمع، وتخطيط وتسيير النظام التربوي المحكم فإن كل هذا يضع المتعلم أمام حالة من الانصياع والانقياد والإتباع لما يحتويه النص الديني من معايير وقيم تمثل الضبط الاجتماعي والديني بمعانيه الحقيقية والكاملة.

فالنظام التربوي يقدم للمتعلم النص الديني ضمن العديد من الوحدات التعليمية التي تظهر الكيفيات التي تساهم في توجيه وتنشئة المتعلم توجيها وتنشئة دينية واجتماعية من خلال الامتثال للأوامر والنواهي المبنية على القيم والمعايير الأخلاقية، والتي تجعل من المتعلم يكتسب هذه القيم وبالتالي تمكنه من وقاية نفسه من السلوك المنحرف.

الكلمات المفتاحية: النص الديني الضبط الاجتماعي؛ النظام التربوي؛ الكتاب المدرسي؛ الوحدات التعليمية؛

مقدمة:

تُظهر كل الدراسات _ العابرة للتخصصات _ أن النظام التربوي يتحمل مسؤولية تنشئة الأجيال الصاعدة، خاصة فيما يتعلق بالضبط الاجتماعي، فالنظام المدرسي _ على وجه الخصوص _ هو الشكل الرسمي الواجب الانضباط به، على الأقل من خلال وسيلتين أساسيتين؛ هما: القانون والدين، إذ يتطلب من المجتمع بكل مكوناته أن يدعمها تلبية لمختلف المصالح الاجتماعية للأفراد. فالضبط الاجتماعي المقصود في هذه الورقة، هو الشكل الذي يتفق عليه النظام الاجتماعي ككل ويتمثل جزء منه داخل المدرسة من خلال جعل كافة أفراد المجتمع _ بتنوعهم الاجتماعي _ أمام نفس المعايير الضابطة قانونية وخاصة دينية، حيث لا تقف التنشئة الاجتماعية على القيّم، بل تتعدى ذلك إلى الوقاية من الانحراف والحد من السلوكات الضارة بالمصلحة الاجتماعية.

إن اهتمام هذه الورقة بالدين _ الإسلام على وجه خاص _ ، أي الاهتمام بالنصوص الدينية، ونقصد اصطلاحاً _ النص القرآني والنص النبوي _ يكون من خلال الكيفية التي يتم بها تقديهما إلى المتعلمين، بمعنى الحديث عن الأشكال المختلفة والطرق المتعددة، عن المواد التعليمية والوحدات التدريسية، عن المادة المستقلة بكتابها المتخصص، ثم الحديث عن الهدف الأسمى من كل هذه الأمور في جعل المتعلمين تحت الرقابة الذاتية التي تضبط سلوكاتهم في السر والعلن، وذلك من خلال الامتثال للقيم والمعايير المستوحاة من النص الديني. ففي رحاب المدرسة يستشعر المتعلم قواعد النظام التي تعتبر من صور الضبط الاجتماعي التي يرسمها النظام التربوي لتنشئة المتعلمين على القيّم وحثهم للامتثال لها وتحذريهم من الانحراف عنها أو التخلي عنها. فأشكال الضبط في النظام التربوي _ المتوسطة في هذه المقام _ لا تخرج عن كونها تنشئة عن القيم الموجهة للسلوك، الامتثال للأوامر والنواهي وأخيراً وقاية من الانحراف.

إن النصوص الدينية _ القرآن والسنة _ بما تحتوي عليه من معايير وقيّم، وما تمثله من قدسية في المخيال الاجتماعي لأفراد المجتمع، أضف إليها دعم الأسرة والمجتمع لهذه المعايير وهذه القدسية، وبتوجيه وتخطيط تربوي محكم من طرف النظام التربوي المدرسي يضع المتعلم من جهة موضع المحترم لهذه النصوص وقدسيتها، ومن جهة أخرى _ الحالة المثلى _ الانصياع والانقياد والإتباع لما تحتويه من معايير وقيم تمثل الضبط الاجتماعي والديني بمعانيه الحقيقية. فالنظام التربوي يقدم للمتعلم النص الديني ضمن العديد من الوحدات التعليمية التي تظهر الكيفيات التي تتم بها التنشئة الدينية والاجتماعية التي تجعل من المتعلم يكتسب القيم الأخلاقية التي تساعده في توجيه سلوكه الاجتماعي لما هو أفضل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تمكن عن طريق البرنامج المعرفي الامتثال للأوامر والنواهي المبثوثة في النص الديني حول القضايا الاجتماعية المتنوعة، وبالتالي _ من جهة أخيرة _ تمكنه من وقاية نفسه من السلوك المنحرف.

هذه الأوجه الثلاث، هي أوجه المقاربة التي ترنو هذه الورقة ولوج أغوارها من خلال ربط النصوص الدينية بالضبط الاجتماعي في كنف النظام التربوي الذي تعتمد عليه المدرسة الجزائرية في محاولة منا لإظهار التواصل الموجود بين المدرسة والمجتمع الذي نعيش فيه، ومحاولة للإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تسعى إلى معرفة مدى تأثير النص الديني على الضبط الاجتماعي لتلاميذ مرحلة التعليم المتوسط من خلال برنامج التربية الإسلامية على وجه الخصوص. ومن بين الأسئلة نذكر على سبيل الحصر:

- هل تساهم النصوص الدينية في توجيه المتعلمين للسلوك القويم المبني على القيم والمعايير الأخلاقية؟

- هل تعمل النصوص الدينية على تنشئة المتعلمين على الامتثال للأوامر والنواهي التي يسعى إلى ترسيخها النظام التربوي؟

- هل تستطيع النصوص الدينية وقاية المتعلمين من الانحراف؟

أولاً: ماهية النص الديني.

01 _ مفهوم النص الديني:

مثل كل المفاهيم في مختلف الحقول المعرفية، يصعب تحديد مفهوم النص، ونجد أنفسنا أمام العديد من التعاريف التي تأخذ أبعاداً ومعانياً تتحكم فيها _ في الكثير من الأحيان _ التوجهات والخلفيات المعرفية والفكرية لصاحب التعريف. فإذا كان النص يشير _ حسب لسان العرب _ في مادة (نصص) على أن «النصُّ: رَفْعُكَ الشيءَ، نَصَّ الحديثَ يَنُصُّه نصاً: رفعه، وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ... ونَصَّ الرجلَ نصاً: إذا سأله عن شيء حتى يستقصي كل ما عنده»(ابن منظور، 1999، ص162). كما يعني في مقام آخر «ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى... النص: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التأويل»(الجرجاني، د.ت، ص203).

أما النص الديني فهو النص _ بمفهومه الواسع _ المرتبط بالدين أو المعبر عنه، والنص الديني بالنسبة للدين الإسلامي يقتصر على مرجعين أساسيين؛ النص القرآني والنص النبوي (حديث النبي محمد ρ)، أو كما يسميه البعض نص السنة. فالنص القرآني توارثته الأجيال باسم المصحف، أو في بعض الأحيان يسمى مصحف عثمان، أما نص السنة فموجود في مختلف الدواوين أو في بعض المراجع المتعارف عليها بجامع السنن، مثل: صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وابن ماجه وغيرهم كثير... والنص القرآني في جانبه العقائدي مرتبط بالوحي كنص أساسي يحتل المرتبة الأولى يليه نص السنة في المرتبة الثانية، من منطلق {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}[النجم، 03-05]. فالوحي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنص (القرآني أو النبوي)، حيث يمثل الأول _ النص القرآني _ المعايير والقيم الموحى بها التي تمثل المصدر الأساس للدين، بينما يمثل الثاني _ النص النبوي _ كل ما جاء في أقوال وأفعال النبي محمد ρ من أجل شرح وتبسيط كل ما أشكل على الأفراد في فهم واستيعاب النص الأول.

فكل الدراسات التي تناولت بالتحليل والشرح والتأويل النصوص الأساسية للدين الإسلامي، تؤكد أن النص القرآني هو المصدر الأساسي للدين، فلا يمكن فهم أو الالتزام بالدين وما يحمل من قيّم وما يمثله من ضوابط اجتماعية خارج هذا النص، في قسميه، العقائدي أو على مستوى السلوكات اليومية (العبادات). فأفراد المجتمع يعرفون أن الحرام حرام _ مثلاً _ هو كل محرم من طرف الخالق تعالى بواسطة نص صريح، والقاعدة الفقهية لا اجتهاد فيما فيه نص صريح تبيّن أهمية النص القرآني في المخيال الاجتماعي والضمير الجمعي للمجتمع، فكل دقائق الحياة الاجتماعية وطريقة تسيير وسير النظام الاجتماعي يجد المسلم لها تفسيرات ونصوص في النص القرآني والنص النبوي. فكل ما هو مرتبط بحياة الأفراد الاجتماعية، وكل ما هو مرتبط بتساؤلاتهم المختلفة يوجد له تأويل أو تفسير، يوجد له تعليل أو تبرير. فالنص القرآني ونص السنة هما النصان الأساسيان اللذان

استعملهما النظام التربوي في كتاب التربية الإسلامية، وهو ما توضحه مختلف الجداول.

02 _ الضبط الاجتماعي في النص الديني:

في الدراسات السوسيو دينية لا يمكن التفريق بين الدين والنص الديني، خاصة عند الحديث عن القيّم والمعايير، المبادئ والمثل، فكل دين يرتكز على جملة من النصوص، مثل: الإسلام الذي يعتمد على النص القرآني والنص النبوي ويستمد منهما مشروعيته وقوة تأثيره على أفراد المجتمع، على البناء الاجتماعي، وعلى النظام الاجتماعي للمجتمع، فلا يوجد من بين النظم الاجتماعية التي يسير وفقها المجتمع نظاماً يمكن أن يصل إلى قوة الدين المستمدة _ طبعاً _ من نصوصه الأساسية، وقوة «تأثيره العميق في حياة الفرد والجماعة على حد سواء، وبالتالي في التمكين لاستقرار المجتمعات وأمنها، ونقصد بالدين هنا _ لا الأديان السماوية الراقية وآخرها الإسلام _ فحسب، ولكن الدين بالمفهوم العام الواسع، فلكل دين أياً كان قواعد وتعليمات ملزمة كان لها في المجتمعات البدائية، والمجتمعات القديمة قوة الضبط وتحديد السلوك»(عبد الجواد، 1984، ص111).

كما «يعتبر الدين من أقوى وسائل الضبط في المجتمعات وهو من الوسائل الرسمية ذات التأثير العميق والمحدد للسلوك في تلك المجتمعات التي تطبق شرائع دينها تطبيقاً دستورياً»(عبد الجواد، 1984، ص110)، وهو ما ينعكس على سلوكات الأفراد في المجتمع وفي المهام الموكلة إليهم، مثل: المعلمين والمتعلمين على حد سواء في المؤسسات التعليمية من خلال محاولة الالتزام بالمعايير والقيم المأخوذة من النص الديني والمبثوثة في مختلف الوحدات التعليمية الموجودة في الكتاب الخاص بالتربية الإسلامية. فهذه الوحدات أو الدروس صور مثالية لمفهوم الضبط الاجتماعي يسعى المعلم من خلال الإلقاء والقدوة إلى تقديمها بشكل جذاب إلى المتعلمين حتى يحققوا أهداف المجتمع في تنشئة الأجيال على القيم الدينية المختلفة التي يتم استنباطها من النص الديني.

فالممارسة الدينية المبنية على قواعد النص الديني تستجيب لمقتضيات الواقع الاجتماعي وتمارس مختلف أنواع الضبط الاجتماعي، وهذا ما يشكل مركب يدخل في تعريف الثقافة الخاصة بأفراد المجتمع. فالنص الديني وخاصة في المجتمعات الإسلامية يقوم بأكبر وظيفة لاحتوائه على كل المعايير والقيم التي يتبناها الأفراد، والتي يعطيهم الرغبة في تهذيب السلوك وتحويله من سلوك كائن حي اجتماعي بالطبع إلى سعيه إلى أنسنة ذلك السلوك. كما أن النص الديني جعل من الإسلام وباتفاق كل الدارسين في مجال الأديان المقارنة والدراسات الأنثروبولوجية دين متكامل لديه طريقة ومنهج في تنظيم الحياة الاجتماعية، وهو ما جعله يحدد قواعد الضبط الاجتماعي من خلال رسم العلاقة بين الفرد كإنسان ينتمي إلى المجتمع الأكبر، وإلى الآخرين الذين يشكلون بمجموعهم المجتمع الكلي. فالضبط هنا يعني كل المحددات التي يقدمها النص الديني للسلوك المرغوب الواجب القيام به والسلوك المرهوب أو المرفوض الواجب تفاديه.

03 _ القيم الاجتماعية في النص الديني:

نقصد بالقيّم الاجتماعية تلك القيم الأخلاقية التي تساعد على الضبط الاجتماعي وتمكن الأفراد والجماعات من تحديد سلوكهم وفق معانيها، فالأخلاق الحميدة تعتبر ركيزة النص الديني، يدعو إليها ويرغب فيها ويعطي من خلالها الوعود بالصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة. بالمثل يتوعد الخالق تعالى من خلال النص القرآني المتخلين عن الأخلاق الحميدة والمتمسكين بالأخلاق السيئة بالعقاب والعذاب وسوء الحياة ونكدها في الدنيا والآخرة. فالنص الديني اهتم كثيراً بالقيم الاجتماعية، ويظهر ذلك في الكم الهائل من الآيات والأحاديث الداعية إلى الامتثال بالأخلاق الحميدة، وفضلها وفضل من يلتزم بها على حياته الفردية، الأسرية والاجتماعية.

وآيات النص القرآني في دقائقها قيم اجتماعية أخلاقية، تحدد سلوك الإنسان المطلوب وترغب فيه وتحذر من القيم السلبية التي يرهب منها الخالق تعالى ويتوعد أصحابها بخسارة الدنيا والآخرة، ونفس الطريقة

يقوم النص النبوي شارحاً ومفسراً النص القرآني ومبيناً كيف يكون أثر هذه القيم الأخلاقية والدينية على حياة الفرد والجماعة، فيكون ملتزماً بها وقدوة لغيره من أبناء الإنسانية جمعاء. فالنص الديني يأخذ بيد الإنسان ليقوم بتحريره من القيم الذميمة وقيادته إلى القيم الأخلاقية السليمة. فقد سادت الحضارة الإسلامية بالأخلاق الحميدة والقيم الإنسانية السامية مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء، 58].

فالنص الديني يربط القيم الاجتماعية مباشرة وبطريقة سلسة بالسلوك الاجتماعي، يكون فيها التشبع بالأفكار والقيم المستنبطة من النص الديني لا معنى لها ولا أهمية ما لم يتبلور إلى سلوك أو فعل حقيقي في الواقع الاجتماعي. فدعوة النص الديني لأفراد المجتمع حتى يتمسكوا بالقيم الاجتماعية منبعه القيمة المضافة لهذه القيم على الأفراد والجماعات. فقد جعل الإيمان مثلاً، وهو أمر عقائدي غير ملموس وقر في القلب ليس له أي جدوى ما لم يصدقه العمل ويصبح سلوكاً اجتماعياً يلمس أثره الفرد والمجتمع على حد سواء، حيث نجد أن «أهم ما يميز القيم الإسلامية بشكل عام والقيم الأخلاقية بشكل خاص، ربط العقيدة بالعمل والقول بالفعل، والنظرية بالتطبيق، لا قيمة لإيمان لا يتبعه عمل صالح يبرهن على صحته»(اليماني، 2009، ص.ص33-34). وهذا هو جوهر المعايير والقيم، المبادئ والمثل المستمدة من النص الديني في موافقة طبيعية للفطرة.

ثانياً: ماهية الضبط الاجتماعي.

01 _ مفهوم الضبط الاجتماعي:

يشير الضبط الاجتماعي إلى العمليات والإجراءات المقصودة وغير المقصودة التي يتخذها المجتمع أو جزء منه، لمراقبة سلوك الأفراد فيه، والسهر على أنهم يتصرفون وفق المعايير والقيّم والنُظم التي رسمت لهم، حيث يرتبط الضبط الاجتماعي في المجتمع الحديث بالرأي العام، الحكومة، أو ما يسمى القانون، بينما تسهم في

المجتمعات التقليدية الأنماط الاجتماعية كالعادات والتقاليد والأعراف بدور كبير في الضبط الاجتماعي(بدوي، 1986، ص635). لقد ذهب كل من أوجبرن ونيمكوف (Ogburn et Nimkoff) إلى أن الدارسين والباحثين في علم الاجتماع يستخدمون الضبط الاجتماعي بطريقة عامة جداً في وصف كل الوسائل التي تستخدمها الجماعة، أو المجتمع في تحقيق النظام الاجتماعي، ويترتب عن هذا الاستخدام أن العادات الشعبية وتقسيم العمل مثلاً، يمكن تصنيفهما من وسائل الضبط الاجتماعي مادامت يساعدان على استمرار الجماعة وتكاملها، فالضبط في نظرهما «هو العمليات والوسائل التي تستخدمهما الجماعة في تضييق نطاق الانحرافات عن المعايير الاجتماعية»(غيث، 1984، ص56).

كما يعتبر الضبط الاجتماعي «حاجة فردية تتطلب الإشباع، فهو أيضا حاجة مجتمعية، لأن كل مجتمع لكي يبقى ويستمر مستقراً في نُظمه وأوضاعه كان عليه أن يحدد القواعد والنُظم والقيَّم والمعايير التي يحدد بها سلوك أفراده، حتى لا تصبح الحياة فيه ضرباً من الفوضى والانحرافات»(عبد الجواد، 1984، ص106). ولهذا نجد في كل مجتمع تنظيمات مختلفة تراقب من يحاول العبث بالقانون والتقاليد والعرف والدين والأخلاق... التي وضعها المجتمع وقد تكون هذه التنظيمات رسمية وغير رسمية، ووظيفة هذه المنظمات الضبط الاجتماعي. فكل عُرف اجتماعي، وكل مظهر من مظاهر السلوك العام في المجتمع، هو إلى درجة ما وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، بل إن أبسط قواعد السلوك، أو أبسط مظاهر التقاليد والأعراف هي من أدوات الضبط الاجتماعي. والنص الديني يشمل على «كل القيّم الاجتماعية التي تكفل سلوكاً قويماً لكل ألوان الشعوب والمجتمعات، وفي كل وقت من الأوقات، والإسلام إلى جانب ذلك مصدر التشريع، فهو قانون سماوي أحصى كل صغيرة وكبيرة بمنتهى الموضوعية والعدالة الإلهية»(عبد الجواد، 1984، ص109).

فربط تعريف الضبط الاجتماعي بالنص الديني في هذه الورقة تظهر أهميته من أهمية المرحلة السنية (العمر) للمتعلمين، فالمتعلمين لا

يزالون في مرحلة التنشئة على قيم المجتمع، حيث يرتبط الضبط الاجتماعي في هذه المرحلة ارتباطاً وثيقاً بالتنشئة الاجتماعية التي تمارسها المؤسسات التربوية والتعليمية _ المتوسطة على وجه الخصوص _، خاصة من خلال مختلف التصورات التي يملكها المشرفون على العملية التربوية للوصول بالمتعلمين إلى مستوى الانضباط.

02 _ طبيعة الضبط الاجتماعي:

الإنسان اجتماعي بالطبع، يحتاج إلى تواجده داخل جماعة يتقاسم معها نفس الدوافع، الأهداف، الطموحات، الرغبات وحتى العواطف، وحتى يتمكن من إشباع حاجاته الاجتماعية يتطلب منه التنازل عن بعض الحاجات الشخصية التي يستفيد منها لوحده ووحده فقط. وللحد من هذه الحاجات الشخصية فإن المجتمع أو الجماعة في صورتها الصغيرة تضع جملة من الحدود أو الضوابط التي وضعت قبل وجوده توارثها مثل غيره عن الأجيال السابقة جيلاً بعد جيل، ومنها ما تفرضه متطلبات الحياة الحالية بكل متغيراتها وتناقضاتها(العمر، 2009، ص41). أضف إلى ذلك أن الضبط الاجتماعي أساسه ضبط ذاتي، حيث يكون المجتمع ضابط ومنضبط، ويرجع ذلك لقدرته _ المجتمع _ المستمرة على تجديد الذاتي للضوابط وعوامل الضبط(محمد جابر، 1993، ص36).

والمراد بطبيعة الضبط الاجتماعي في هذه الورقة، كل ما يكتسبه الأفراد من الاجتماع البشري، فالحياة الاجتماعية _ على بساطتها _ لا بد لها من تنظيم اجتماعي وضوابط تنظيمية تحدد مختلف التفاعلات التي تحدث بين الأفراد، وبين الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها... فميول الأفراد للاجتماع البشري يقابلهم ميول للتنظيم وفق الضوابط المحددة في معتقداتهم وثقافتهم وطبيعة تجمعهم. فالضبط الاجتماعي ينطلق _ في طبيعته _ من مستوى المعرفة والإدراك بضرورة تنظيم العلاقات الاجتماعية ويصل إلى مستوى السلوك وفق هذه الضوابط أو المحددات.

إن الضبط الاجتماعي _ في طبيعته _ مفهوم وسلوك في نفس الوقت، حيث يتم وفق ما يتفق عليه أفراد المجتمع من محددات مصدرها _ كما ذكرنا _ الثقافة والخصوصية الاجتماعية والدينية للمجتمع يتم تطبيقها على الجميع وتوظيفها في الحياة اليومية. فهذا التوظيف يحتاج كذلك إلى مؤسسات حاضنة تمس مختلف مناحي الحياة، وتسعى هذه المؤسسات إلى تربية وتعليم الأفراد على الالتزام بقواعد وقوانين الضبط الاجتماعي مسؤولية الكبار اتجاه النشء لتتفرع إلى مستويات مختلفة تتسم بالتشابك والتعقيد.

03 _ خصائص الضبط الاجتماعي وأهدافه:

أ _ **خصائص الضبط الاجتماعي:** يمكننا حصر خصائص الضبط الاجتماعي أو مميزاته في جملة من النقاط نوردها على الشكل التالي:

– يتميز الضبط الاجتماعي بأنه محدد للطريق أو الطرق التي يسلكها الأفراد وتتخذها الجماعات، والتي تحدد لهم الكيفية التي تتم بها عملية الامتثال للمعايير والقيم وأنماط السلوك المقررة أو المرغوبة من طرف المجتمع.

– يتضمن الضبط الاجتماعي جملة التوجيهات المقدمة من طرف النظام الاجتماعي الذي يسعى إلى تحقيقها، والتي تكون مبنية ومخطط لها وفق إستراتيجية معينة وليست تلقائية. فالنظام الاجتماعي يستعمل الضبط الاجتماعي من أجل تحديد سلوك الأفراد المقبول والمرغوب فيه وتنبذ السلوك غير المرغوب فيه وغير المقبول.

– يرتكز الضبط الاجتماعي على قانون اجتماعي يتمثل في الرقابة الاجتماعية التي تمثلها المعايير والقيم المختلفة والأنظمة والتعاليم المتنوعة التي تهدف إلى معالجة المجتمع من الانحرافات الممكنة التي قد يقع فيها الأفراد.

– عمليات الضبط الاجتماعي ملازمة بشكل مباشر لحياة الإنسان المتنوعة، فالضبط الاجتماعي عامل مؤثر وقوي على حياة الأفراد والجماعات، وعامل فعلي في النظام الاجتماعي يقدم دائماً للأفراد

والمجتمع الأشكال الواجب إتباعها والاقتداء بها والأشكال الواجب التخلي عنها، والتي تكون مبنية في الأساس وفق القيم والمعايير التي يتبناها هذا الأخير.

ب _ أهداف الضبط الاجتماعي: يقول (كامبل يونغ): «يهدف الضبط الاجتماعي إلى تحقيق الامتثال، التضامن واستمرار مجتمع أو جماعة»(الصالح، 2004، ص59). فقد جمع معظم أهداف الضبط الاجتماعي في هذا التحديد، وفيما يلي بعض النقاط الأساسية التي تبيّن أهمية الضبط الاجتماعي بالنسبة للفرد، الجماعة والمجتمع.

– لأن الضبط الاجتماعي وسيلة المجتمع وطريقة عمله المثلى في تكيف سلوك الأفراد وتصرفاتهم مع المعايير والقيم والتعاليم المتفق عليها، حيث يؤدي هذا التكيف إلى الاستقرار والاطمئنان التماسك الاجتماعي المنشود. ففي ظل الاختلافات، الميول والرغبات المضادة _ حسب روس _، وفي ظل صراع الطبقات، الفئات والمصالح لا بد من وجود وسائل وأجهزة اجتماعية تمارس الضبط(الخشاب، 1968، ص.ص33-34).

– لأن الضبط الاجتماعي وسيلة تدعم النظام الاجتماعي بمختلف الوسائل المستنبطة من المعايير والقيم للقضاء على الفوضى داخل الجماعة والمجتمع، وداخل النظام الاجتماعي ككل، وهنا تظهر أهمية الدين _ مهما كان هذا الدين _ ونظام الحكم السياسي في وضع القوانين والمعايير الواجب إتباعها من طرف الجميع.

– ولعل أهم وظيفة للضبط الاجتماعي، هي: تحديد نطاق السلوك المقبول في المجتمع، لكل فرد له وظائفه الاجتماعية المطلوب القيام بها، إذا رفض القيام بها أو حاول الانحراف عنها وجد الضبط الاجتماعي ووجد مختلف المعايير والقيم والمثل التي تذكره وتطلب منه الرجوع عن عمليات الرفض أو الانحراف.

04 _ وسائل الضبط الاجتماعي:

يتفق الكثير من الباحثين حول وسائل الضبط الاجتماعي على وجود خمس وسائل، يمكن اعتبارها وسائل كبرى تتضمن مجموعة من الوسائل الثانوية، فالدين، القانون، العادات والتقاليد، التربية والدعاية أو الإعلام، هي أكبر وأهم الوسائل التي يستعملها الضبط الاجتماعي، وهو ما سوف نتطرق إليه بنوع من الحصر والاختصار.

أ _ الدين ضابط ووسيلة للضبط الاجتماعي: يعتبر الدين _ مهما كان هذا الدين _ أقوى ضابط اجتماعي بما يحتوي عليه من معايير وقيم تدخل ضمن جملة المعتقدات التي يعتقدها أفراد المجتمع، والتي توجه سلوكهم، لذلك نجد أن الدين يلتقي مع الضبط الاجتماعي، كما يعتبر الدين وسيلة الضبط الاجتماعي من خلال تمسك المجتمع بمعتقداته الدينية التي تساعد في وضوح النظام الاجتماعي المبني على القيم الأخلاقية. فيمكننا أن نستدل بالكثير من الأبحاث والدراسات حول أهمية الدين في الحياة الاجتماعية.

كما أن الدين الإسلامي أقوى الأديان الضابطة للمجتمع بما تحتوي عليه تعاليمه من عبادات ومعاملات، حيث تتعلق العبادات بعلاقة أفراد المجتمع بخالقهم، بينما تتعلق المعاملات بعلاقات أفراد المجتمع فيما بينهم(الساعاتي، 1968، ص60)، فالأوامر والنواهي تحفظ النظام الاجتماعي بطريقة مباشرة من خلال رسم الطريق المضبوط الذي يتطلب على المؤمن أن يسلكه مرضاة للخالق وللمخلوق. بينما ما يتعلق بالعبادات فإنها محددة للسلوك المثالي لأفراد المجتمع(دسوقي، د.ت، ص484)، لذلك تعتبر من الضوابط الاجتماعية غير المباشرة من خلال تهذيب سلوك الأفراد وما يتحقق من الأداء الجيد للعبادات التي تقوي الضبط الاجتماعي.

ب _ التربية وسيلة للضبط الاجتماعي: تُعد التربية «وسيلة المجتمع الفعالة التي يستطيع عن طريقها تحقيق أهدافه الوجودية، والفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، بما يتفق مع تصور أبناء المجتمع للوجود، وما ينبثق عن هذا التصور من مفاهيم، وعقائد، وأفكار»(الحازمي، 2000، ص.ص227-228)، حيث يتم ذلك عن

طريق استخدام مختلف المعلومات والمعارف العلمية التي يعتقد المجتمع بأنها توصل إلى تأهيل الأفراد حسب الميول والقدرات ليكونوا في أفضل مستوى لخدمة المجتمع. وأيضاً تعتبر التربية تلك «العملية المقصودة أو غير المقصودة التي اصطنعها المجتمع لتنشئة الأجيال الجديدة وبطريقة تسمح بتنمية طاقاتهم وإمكاناتهم إلى أقصى درجة ممكنة ضمن إطار ثقافي معين قوامه المناهج، الاتجاهات والأفكار التي يحددها المجتمع»(الأنصاري، 2009، ص37)، من أجل القيام الواعي بمجموعة من الوظائف في هذا المجتمع.

كما يمكننا أيضاً أخذ التربية على أساس أنها كل جهد مقصود يبذل لأحداث تغيرات مرغوب فيها في حياة الإنسان، حيث يشمل هذا التعريف على أن «الإنسان عموماً... كما يشمل ما يتم في المدرسة من تعليم، وما يتم خارجها، أي يشمل المدرسة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية كالمنزل والمسجد والنادي والصحافة والإذاعة المرئية والمسموعة والشارع والجيرة وما إلى ذلك من مؤسسات تحدث تغييرات مرغوب فيها في الإنسان»(أحمد، 1982، ص52). «لذلك كانت التربية عبر تاريخها المديد عملية متجددة من حيث المحتوى، الوسائل، الأساليب، وطرق القياس والتقويم، وثابتة من حيث الغرض الذي ينشده الإنسان منها، فهو يحتاجها كوسيلة في تحقيق أهدافه المتطورة حسب التقدم العلمي والحضاري، وستبقى التربية تلعب هذا الدور بالنسبة للإنسان في المستقبل»(الحياري، 1993، ص225).

ج _ العرف والعادات والتقاليد وسائل للضبط الاجتماعي: فالعرف جزء من التراث غير المكتوب لأي مجتمع تصل بعض أحكامه لتكون أقوى من الشرع والقانون، وهو ما يجعل منه مجموعة من القواعد ذات الصبغة القانونية تنشأ عن استقرار المجتمع على متابعة سلوك أو سلوكات معينة واستقرار الاعتقاد أن هذه السلوكات ذات صبغة إلزامية لأفراد المجتمع في حياتكم ومعاملاتهم(زواوي، 1977، ص73). إذ أن التخلي عن العرف يؤدي إلى المجابهة مع المجتمع، وهنا يظهر الضبط الاجتماعي، أما الامتثال فيعني احترام الأعراف

والالتزام بالآداب والتقاليد الشعبية السائدة في المجتمع لتحقيق نوع من الاستقرار والدَّعَة بين أفراد المجتمع.

كما أن التقاليد والعادات ظاهرة اجتماعية تحتوي على كل ما يفعله الأفراد داخل المجتمع مصدرها الغريزة، كما أنها تلقائية وتدخل في تركيب الثقافة لما تحمله من قيّم يتفق عليها أفراد المجتمع، فهم متفقون على السلوك الموجه لقضية من القضايا عن رضا وطيب خاطر، تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، لها قوة القانون المكتوب، وتتسم بالانتشار والتكرار، لذلك تعتبر من الوسائل التي تستعمل للضبط الاجتماعي.

د _ القانون وسيلة للضبط الاجتماعي: في الغالب لا يستطيع الدين، العرف، العادات والتقاليد من حفظ النظام العام، لذلك يتطلب وجود نظام سياسي أو تنظيم سياسي في شكل مجموعة من القواعد القانونية الموضوعة من طرف الدولة يسير وفقها الجميع. فالقانون عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعلنها وتقوم على تنفيذها سلطة مشروعة لها ذلك باستعمال وسائلها الخاصة، حيث تمتاز القواعد _ القوانين _ بالوضوح والدقة في التحديد(أبو زيد، 1992، ص207). فهذه القوانين تحتوي على المعايير والقيم التي يتطلب من أفراد المجتمع الالتزام بها، وعدم القيام بذلك يؤدي بصاحبه إلى عقوبات محددة مسبقاً تمثل جوهر الضبط الاجتماعي الذي يمنع الأفراد من الانحراف.

إن القانون عندما يتكون من جملة من الميكانيزمات التي تؤهله لمنع الانحراف والجريمة ومعاقبة المنحرف، فإنه بذلك يكون وسيلة جادة من وسائل الضبط الاجتماعي الذي يتحرى بدقة كل العمليات المخالفة للمعايير والقيم القانونية التي تسير المجتمع.

هـ _ الرأي العام وسيلة للضبط الاجتماعي: يعتبر الرأي العام جملة انفعالات أفراد المجتمع _ الجماهير _ المختلفة والتي يبينوا فيها مواقفهم نحو أمر أو شأن من الشؤون العامة، حيث يعبر هذا الانفعال عن حكم الجماهير العام، فتتكون هذه الأحكام من جملة الأفكار المتنوعة التي تظهر مدى استحسانهم أو اشمئزازهم واستهجانهم من

أمر ما من خلال إصدار حكمهم على هذا الأمر أو الشأن الذي يبيّن الإدراك بالوجود الذاتي للمجتمع، وبالتالي التضامن الذي ينتج عنه التماسك الاجتماعي للأفراد ككائن اجتماعي واحد، بمعنى معرفة الناس لبعضهم البعض(الساعاتي، 1968، ص43).

ثالثاً: تأثير النص الديني على الضبط الاجتماعي.

01 _ الخصائص العامة للنص الديني في الكتاب المدرسي:

توجد الكثير من الخصائص التي تميز النص الديني في كتاب التربية الإسلامية للتعليم المتوسط في سنواته الأربع، وفي السياق التالي نذكر كيفية توزيع النص الديني في هذه الكتب:

أ _ كتاب التربية الإسلامية للسنة أولى متوسط:

في كامل الكتاب توجد (153) آية من النص القرآني يضاف إليها (75) نص من السنة (حديث شريف). ومن بين النصوص القرآنية توجد سور بالكامل، مثل: الكافرون، الإخلاص، الفيل والضحى. فهذا الكتاب يحتوي على أربع دورات، حيث تشمل هذه الدورات على وحدات تعليمية، والجدول التالي يبين أسماء الدورات وأسماء الوحدات مع توزيع النص الديني في كل وحدة:

الدورة / الوحدة	الدورة الأولى: معرفة الله ورسوله		الدورة الثانية: المحافظة على البيئة		الدورة الثالثة: طاعة الله ورسوله		الدورة الرابعة: معاملة الناس	
01	أركان الإيمان		من دلائل قدرة الله		الوحي ومقدماته		الوقت هو الحياة	
	03	23	02	05	00	02	03	04
02	الإيمان بالله ودلائل وحدانيته		من نعم الله على عباده		الصلاة ومكانتها		الجمعة والجماعة	
	01	10	00	04	06	24	03	09
03	مكانه القرآن الكريم		المسلم يعتني ببيئته		كيفية الصلاة		صلاة العيدين	
	03	08	05	14	01	00	02	01
04	مدخل للسيرة النبوية		الطهارة وأنواعها		أحكام الصلاة		الدعوة إلى الإسلام	

	07	00	07	00	01	00	08	04
05	ρولادة ونشأة النبي		الوضوء		أوقات الصلاة		حقوق المسلم وواجباته	
	الضحى	02	01	02	01	02	03	08
06	مكانة السنة النبوية		الغسل		الأمانة والصدق		الأخلاق القبيحة	
	04	05	01	00	06	05	03	02
07	الحكم التكليفي وأقسامه		التيمم		سجود السهو وأحاكم المسبوق		علاقات المسلم	
	14	03	02	01	00	03	22	08
المجموع الكلي	**228**		**القرآن**	**153**		**الحديث**	**75**	

الجدول (01): يبيّن توزيع النص الديني في كتاب السنة أولى من التعليم المتوسط.

إن التحليل السوسيولوجي البسيط لمعطيات هذا الجدول تبين أهمية الضبط الاجتماعي في المدرسة الجزائرية ومدى اعتماده وعودته الدائمة إلى النص الديني، وهذا منذ السنة الأولى من التعليم المتوسط. ويظهر ذلك من خلال نسبة المواضيع التي تهتم بتنشئة النشء على القيم الدينية الموجهة للسلوك أو التي تخص التنشئة على الامتثال للأوامر والنواهي أو حتى المحذرة من السلوكات القبيحة، أي تقي المتعلم من الانحراف، وهذه الثلاثية التي اعتمدنا عليها منذ البداية، وجعلناها أسئلة الدراسة. فيمكن تسجيل أن المواضيع المخصصة للتنشئة على القيم الدينية المنتجة للسلوك والامتثال للأوامر والنواهي أكثر بكثير من المواضيع المتعلقة بالوقاية من الانحراف، وهذا ترجعه الكثير من الدراسات إلى عمر (سن) التلميذ الذي لا يزال في بداية المشوار. فالآيات القرآنية في الكتاب المدرسي لهذه السنة تجعل أكثر من النصف للضبط الاجتماعي.

ب _ كتاب التربية الإسلامية للسنة ثانية متوسط:

توجد في الكتاب (83) آية من النص القرآني من صور مختلفة، يضاف إليها (53) نص من السنة (حديث شريف). ومن بين النصوص القرآنية توجد سور بالكامل، هي: المطففين، الانفطار والتكوير. فهذا الكتاب يحتوي على أربع دورات، حيث تشمل هذه الدورات على وحدات تعليمية، والجدول التالي يبين أسماء الدورات وأسماء الوحدات مع توزيع النص الديني في كل وحدة:

الدورة	الدورة الأولى:	الدورة الثانية:	الدورة الثالثة:	الدورة الرابعة:

الوحدة	قوة الإرادة وضبط النفس		التكافل والتماسك في الإسلام		القدوة الحسنة		فعالية المسلم	
01	الصوم وأحكامه		التماسك الاجتماعي		الإيمان بالملائكة		أنواع الصدقة	
	01	06	02	01	07	01	00	02
02	صوم رمضان		الرسول يضع أسس المجتمع		دعاء الملائكة للمؤمنين		الحوار والتسامح	
	03	00	01	00	03	00	06	00
03	من الأخلاق السلوكات السيئة		الزكاة وأحكامها		القدوة والصحبة الحسنة		من شيم المسلم	
	10	05	02	02	03	02	00	05
04	من الآفات الاجتماعية		مصارف الزكاة		فاعلية المسلم الاجتماعية		الطاعة	
	10	03	01	00	00	02	06	01
05	الحياء والعفة		الإيثار والتعاون		الغزوات الكبرى		المحافظة على البيئة	
	02	04	01	02	07	02	18	08
06	الهجرة من مكة إلى المدينة		سورة الانفطار		سورة التكوير		المطالعة حول البيئة	
	08 + سورة المطففين	02	كاملة	00	كاملة	01	10	00
المجموع الكلي		**136**	**القرآن**	**83**	**الحديث**	**53**		

الجدول (02): يبيّن توزيع النص الديني في كتاب السنة ثانية من التعليم المتوسط.

ما يمكن تسجيله بالنسبة لكتاب السنة الثانية اهتمامه بالتنشئة على القيم الدينية المنتجة للسلوك، حيث تمثل ثلاث أرباع النص الديني الموجه للضبط الاجتماعي، تليها تربية التلميذ _ بالنظر إلى عدد سنوات عمره _ على أن يكون أكثر طواعية والتزاماً بالأوامر والنواهي، مع بداية زيادة عدد وحدات الوقاية من الانحراف. فعدد الآيات القرآنية في هذه السنة يعبر عن اهتمام النظام التربوي بوضع قسط مهم من الآيات لتنمية الجانب الروحي للمتعلم حتى يتقبل ما يقدم له من وحدات تعليمية تدعوه لاكتساب قيم دينية محددة للسلوك وداعية للامتثال بالأوامر والنواهي.

ج _ كتاب التربية الإسلامية للسنة ثالثة متوسط:

في كامل الكتاب توجد (100) آية من النص القرآني يضاف إليها (38) نص من السنة (حديث شريف). ومن بين النصوص القرآنية توجد سور بالكامل، هي: النصر، عبس والنازعات. فهذا الكتاب يحتوي على أربع دورات، حيث تشمل هذه الدورات على وحدات تعليمية، والجدول التالي يبين أسماء الدورات وأسماء الوحدات مع توزيع النص الديني في كل وحدة:

الدورة / الوحدة	الدورة الأولى: أداء الواجب وتقدير الأمور		الدورة الثانية: التسامح ورحابة الصدر		الدورة الثالثة: التواصل الاجتماعي		الدورة الرابعة: الاجتهاد والمثابرة	
01	الأسس الخلقية للحياة الاجتماعية		الإيمان والدعاء		الإيمان بالأنبياء والرسل		فضائل العبادات	
	00	01	03	00	11	00	00	01
02	مواقف من قصة نوح ρ		الإيمان بالكتب السماوية		النداء للحج		العمرة وأحكامها	
	18	00	07	00	05	00	01	04
03	الصبر والشكر		الحلم والإحسان		الحج وأحكامه		المسارعة في الخيرات	
	10	00	05	06	02	03	08	02
04	صلح الحديبية		فتح مكة		مواقف من حياة ρإبراهيم		المثابرة وترك الكسل	
	01	02	+ 02 سورة النصر	02	23	00	01	04
05	احترام النظام والآداب العامة		سورة عبس		حقوق الإنسان		سورة النازعات	
	06	05	كاملة	00	00	حجة الوداع	كاملة	00
06					السلوك الاجتماعي القويم			
					00	07		
المجموع الكلي	**138**		**القرآن**	**100**	**الحديث**		**38**	

الجدول (03): يبيّن توزيع النص الديني في كتاب السنة ثالثة من التعليم المتوسط.

ما يسجل على الكتاب المدرسي هو التسلسل المنطقي في الوحدات المقدمة التي تراعي قدرات المتعلم العقلية، فنسجل أهمية هذا التدرج

في تكوين المتعلم ومدى قابلية المادة المقدمة له من أجل تحقيق مختلف الأهداف التي تدور كلها حول تفاعل المتعلم مع المحيط والتمسك بالأخلاق الحميدة والفاضلة والتخلي عن الأخلاق السيئة. هذا الاهتمام عكسته المادة المقدمة والآيات الموجه والأحاديث المطالب المتعلم بحفظها والاقتداء بمحتواها. فالنص الديني يمثل السند القوي الذي يلجئ إليه المتعلم في نسج علاقاته مع أفراد المجتمع وفي التفاعل معهم. فيبدأ النظام التعليمي _ في هذه السنة _ بترسيخ معاني النص الديني وقدسية معانيه ومراميه، فتصبح السلوكات المتوقعة أكثر عمقاً في نفس المتعلم.

د _ كتاب التربية الإسلامية للسنة رابعة متوسط:

في كامل الكتاب توجد (61) آية من النص القرآني يضاف إليها (30) نص من السنة (حديث شريف). ومن بين النصوص القرآنية توجد سورة بالكامل، هي: النبأ. فهذا الكتاب يحتوي على أربع دورات، حيث تشمل هذه الدورات على وحدات تعليمية، والجدول التالي يبين أسماء الدورات وأسماء الوحدات مع توزيع النص الديني في كل وحدة:

الدورة / الوحدة	الدورة الأولى: العمل الصالح أساس النجاح		الدورة الثانية: تماسك المجتمع ودور الأسرة		الدورة الثالثة: الإسلام عقيدة وعمل والتزام		الدورة الرابعة: لا ضرر في الإسلام	
01	ثواب الإيمان والعمل الصالح		من أخلاق المسلم		التعريف بالدين الإسلامي		الكسب غير المشروع	
	09	00	04	00	00	01	01	02
02	فضل ذكر الله تعالى		بر الوالدين		الإيمان بالقضاء والقدر		كف الأذى	
	00	01	02	02	04	00	00	01
03	الإيمان باليوم الآخر		مظاهر بر الوالدين		المسؤولية		مواقف في السلم	
	03	00	00	01	00	02	00	00
04	الاستقامة		قيمة الأسرة في الإسلام		التوكل		صلة الرحم	
	01	00	02	00	01	02	02	03
05	الكسب المشروع		مواقف من حياة ρعيسى		مواقف في الشورى		ρالرسول القدوة	

07	02	00	00	00	07	02	02	
سورة النبأ		من عظماء الأمة		يحفظ ρالرسول الحقوق		مواقف من حياة ρموسى		**06**
03	كاملة	00	00	03	00	00	06	
30		**الحديث**	**61**		**القرآن**	**91**	**المجموع الكلي**	

الجدول (04): يبيّن توزيع النص الديني في كتاب السنة رابعة من التعليم المتوسط.

تجدر الإشارة أن تقديم الكتاب المدرسي للنص الديني استعمل فيه الألوان والتأطير والكتابة بالبنط العريض. كما يوجد من النص القرآني ما هو مفروض على المتعلم حفظه، ويوجد من بين النصوص ما هو مقدم على شكل فوائد حتى يستفيد منها المعلم والمتعلم، حيث أنها في الكثير من الأحيان ما تحمل مجموعة من القيّم الدينية أو تحمل خلقاً يحض عليه الإسلام. كما أن النصوص الدينية _ الآيات والأحاديث _ موزعة بشكل منظم ومتوافق إلى حد بعيد مع مجموعة الكفاءات المرتبطة بكل دورة، درس أو موضوع. كما أن الوحدات التعليمية في غالبها لها علاقة مع مضامين الضبط الاجتماعي في مختلف المراحل، وهو ما يمكن احتسابه لصالح الوصاية (المنظومة التربوية بشكل عام) التي تحاول من خلال المادة المقدمة والارتكاز على النص الديني جعل التلميذ في كل سنوات التعليم المتوسط يتعلم معنى وظيفية توجيه سلوكه وضبطه وفق ما يحتاجه المجتمع وما تحدده القيم والمعايير الدينية.

فتأثير النص الديني _ القرآن والسنة _ يظهر بشكل جلي من خلال عدد الآيات التي يطّلع عليها التلميذ في مرحلة التعليم المتوسط، يحفظها أو يتعلمها، والأهم يظهر من خلال المواضيع التي تتكون منها الوحدات التعليمية في مختلف الدورات الموجودة منذ السنة الأولى وحتى السنة الرابعة. وهو ما سجلناه من خلال تحليلنا للجداول الأربع التي بيّنا فيها عدد النصوص الدينية التي يتمكن من تناولها التلميذ أو تقدم له في مختلف الميادين والمواضيع المتعلقة أساساً بالضبط الاجتماعي. فالإطار النظري للنص الديني في النظام التربوي تحتويه مادة التربية الإسلامية التي تقدم _ كما ذكرنا _ عدداً كبيراً من آيات

النص القرآني ونص السنة التي تدل على القيم الدينية الموجهة للسلوك والداعية إلى امتثال الفرد للقيم والمعايير الدينية، وبالتالي الامتثال للأوامر والنواهي التي تؤدي في حالة الامتثال والتأثر إلى الوقاية من كل السلوكات السلبية بما فيها الانحراف.

02 _ القيّم الدينية الموجهة للسلوك:

تعتبر القيم الدينية الموجهة للسلوك الاجتماعي جزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية للمجتمع، حيث أن الدين الإسلامي _ الشرع _ حدد القيم الدينية _ الأخلاقية _ التي تحكم سلوك الفرد والجماعة، ومن ثم المجتمع في نفس مستوى الحقوق والأحكام والحدود، لأنها ليست منفصلة أو نجدها لوحدها، بل تمثل جزءا لا يمكن فصله عن الإطار العام للمعايير والقيم التي يتألف منها الإسلام في شموليته وعمومه لمختلف القضايا الاجتماعية، فمصادر التشريع الإسلامي عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملات تمثل كياناً تشريعياً واحدا من حيث المصادر والمقاصد(الصالح، 2004، ص169). فالنص الديني يحمل القيم الدينية ويحدد الكيفيات التي تؤثر على سلوك الفرد خاصة من خلال التنشئة الاجتماعية والدينية للنشء _ تلاميذ التعليم المتوسط _، فهي المرحلة العمرية التي تمكن النظام التربوي أو المجتمع من غرس القيم الموجهة للسلوك.

إن إدراج النص الديني في الكتاب المدرسي في التعليم المتوسط مثل غيره من المستويات، ليس فقط الاطلاع أو الحفظ في أقصى درجات التزام المتعلم، بل إن الأمر المطالب الاهتمام به من طرف المعلم والمتعلم هو تدبر المعنى ومن ثم جعل هذا المعنى مجموعة من السلوكات ذات الطابع الديني والاجتماعي. فمعظم سندات التكوين تشير إلى انتقال المعنى إلى السلوك، وانتقال الفهم إلى التطبيق، لأن من مسلمات العلمية التعليمية _ مهما كانت الوحدة التعليمية _ هو جعل اللغة المقدمة حركة داخل المؤسسة، وهو ما يظهر في النص الديني الذي يتميز بوجود جانب تعبدي فيه أساسي بعيد عن المقاييس الوضعية الموجودة في النظام التربوي، لأن النص الديني بفضل

القداسة التي يمتلكها في المخيال الاجتماعي لأفراد المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى ما يضفيه على الفرد من احترام وتبجيل يجعل منه يقبل على حفظ آيات وأحاديث النص الديني. هذا الحفظ سوف يمكنه من نقل محتوى النص إلى قيم تؤثر على السلوك.

كما أن القيم الدينية تحتل الأولوية في الحياة الاجتماعية للمجتمع، ليس من منطلق حث النص الديني عليها، لكن كون الأولياء ومن منطلق الانتماء إلى الدين الإسلامي للمجتمع يصبح اكتساب القيم الدينية الموجهة للسلوك أمر طبيعي يتبناه النظام التربوي في التعليم المتوسط ويظهره الكتاب المدرسي في محاولة لموافقة الواقع الاجتماعي ومتطلباته مع المنظومة التربوية. فمختلف الدراسات الاجتماعية حول القيم أثبتت أن عدم اكتساب قيم دينية والالتزام بها يؤدي إلى تفكك المجتمع وانحلاله أخلاقياً. فكل النصوص الدينية الموجودة في الكتاب التربية الإسلامية في سنواته الأربع يبين تأثير النص الديني على الضبط الاجتماعي وأهمية هذا النص في اكتساب القيم الدينية التي تحدد وتوجه السلوك الاجتماعي للنشء، خاصة القيم الإسلامية ودورها في ضبط السلوك في المراحل العمرية الأولى، أي سنوات الدراسة في المتوسطة.

03 _ الامتثال للأوامر والنواهي:

إن التحليل السوسيولوجي للجداول الأربع التي تقدم النص الديني في الكتاب المدرسي للتعليم المتوسط تثبت أهمية الوحدات التعليمية التي استنبطت في الغالب من النص الديني في محاولة من النظام التربوي جعل المتعلم يكوّن جملة من المحددات التي يسير وفقها. بالإضافة إلى مقارنة ذلك مع منظومة القيم الموجودة في المجتمع حول النشء في هذه الفترة العمرية، فكل الوحدات التعليمية لها دلالات على امتثال المتعلم للقيم والمعايير التي ينشأ عليها في المجتمع _ على الأقل من الجانب النظري لتربية النشء _، أضف إليها التأثير الذي يحدثه النظام التربوي في شكله الرسمي الذي يستند في الامتثال للأوامر والنواهي بالنص الديني، لأن المتعلم في هذه المرحلة مجرد طفل قبل كل شيء

بحاجة إلى الشعور بالاستئناس والحماية التي يوفرها النظام والمجتمع على حد سواء.

لقد أثبتت الدراسة أن الضبط الاجتماعي الذي تمارسه المتوسطة من خلال النظام التربوي المقدم في جملة من الوحدات التعليمية التي تحض على الامتثال للأوامر والنواهي المبينة في الوحدات التعليمية والمحددة لجملة من السلوكات الإيجابية. أثبتت أن امتثال المتعلم كبير، فهو يستند على النص الديني من خلال الحفظ والمراجعة من أجل التقويم، ولأنه في أغلب الحالات يلجئ إلى تحقيق ما يطلبه منه المجتمع _ الأولياء والأساتذة _ بالامتثال الصارم الذي يبين حسن الخلق والتربية الفاضلة، حيث يظهر هذا الامتثال من خلال عملية المشاركة في الطقوس والشعائر الدينية. فالصلاة تؤدي إلى اكتساب الكثير من القيم الدينية التي تتحول إلى سلوك اجتماعي إيجابي.

إن النظام التربوي ومن خلال كل ما خصصه لتلاميذ التعليم المتوسط في مادة التربية الإسلامية ينتقل من التأثير البليغ الذي يحدثه النص الديني في أفراد المجتمع، فالامتثال للقيم الدينية وجعلها قيماً أخلاقية وسلوكية ينطلق من تأكد النظام التربوي لامتثال أفراد المجتمع للنص الديني النابع من ذلك التقديس والتبجيل، ففطرة النشء تجعلهم أكثر انصياعاً وامتثالاً دخل المجتمع للقيم الدينية. فالمقدس في المجتمع يفرض التجمع والالتفاف حول القيم، وعدم الامتثال يسبب الضعف بالانتماء. فالتلميذ في التعليم المتوسط ينظر إلى النص الديني بأنه أوامر من الخالق وتوجيهات من النبي محمد ρ يتطلب جعلها سلوكاً داخل المتوسطة.

04 _ الوقاية من الانحراف:

تعبر المعطيات الإحصائية المنقولة من الكتاب المدرسي أن الهدف الأساس من الوحدات التعليمية المبنية على النص الديني ترسيخ في ذهن المتعلم القيم والمعايير التي تقيه من الخلق والسلوك المنحرف، حيث يستعين النظام التربوي بتأثير النص الديني على النشء ومدى تبنيهم للمعايير والقيم الدينية من خلال التزامه بالنظام الاجتماعي من

خلال الكم الهائل الذي يتلقاه المتعلم من النصوص الدينية التي تعكس صورة الأخلاق الحميدة والأخلاق الذميمة وما تسببه من عواقب داخل المجتمع من نبذ وتشهير واستحقار وانفصال عن الجماعة ونظامها الاجتماعي، انطلاقاً من النظام المدرسي الذي يحدد له العواقب الوخيمة وصولاً إلى فقدان المكانة الاجتماعية.

إن النظام التربوي يحاول أن يضع الكثير من المحددات _ الضوابط _ التي تجعل من المتعلم يفكر كثيراً قبل الإقبال على سلوك انحرافي داخل المؤسسة، وهو بهذا الفعل سوف يكون لديه نوع من الحصانة المبنية على النص الديني في شقية القرآني والنبوي. فالتلميذ محتاج إلى أهم مرجع يرجع إليه في توجيه وتقويم سلوكه وابتعاده عن السلوك المنحرف، وهنا لا يجد أفضل من النص الديني المتوفر في مادة مطالب بدراستها وامتلاك المعلومات عنها _ التربية الإسلامية _ المتكونة من مواضيع متفق عليها داخل المتوسطة، فيكون ضبطهم الاجتماعي يتم من منطلق النص الديني الذي يتعلمونه من مادة التربية الإسلامية.

خاتمة:

لا بد من التأكيد على أن البرنامج العام للتعليم المتوسط في مادة التربية الإسلامية يشير إلى الأهمية التي يحتلها الضبط الاجتماعي في النظام التربوي المطبق حالياً في المدرسة الجزائرية، ذلك من خلال شغله لمساحة واسعة من الدروس. فيكفي أن نذكر أن أكثر من نصف الوحدات التعليمية المقترحة في البرنامج الكلي للسنوات الأربع في التعلم المتوسط تتناول الضبط الاجتماعي _ على الأقل _ في معرفة القيم الدينية الموجهة للسلوك، الامتثال للأوامر والنواهي والوقاية من الانحراف. وهذا الأمر واضح الدلالة بالنسبة للنظام التربوي الذي يستعين بقداسة النص الديني وتأثيره على أفراد المجتمع لتحديد الضوابط الاجتماعية التي تجعل من النشء _ تلاميذ المتوسط _ يكتسبون المعايير والقيم الاجتماعية التي تساعده في الاندماج في المجتمع بطريقة إيجابية.

بينت نتائج هذه الدراسة أن النظام التربوي في مرحلة التعليم المتوسط، يهتم بالضبط الاجتماعي من خلال الاهتمام بالمناهج والكتاب المدرسي، حيث أبرزت الدراسة مدى تأثر الوحدات التعليمية، بل اقتباسها الكلي لمادتها التعليمية من النص الديني وتقديمه بالشكل الأصولي الذي يقدم بها المعايير والقيم الدينية في المؤسسات الدينية _ المسجد خصوصاً _، ولعل ذلك يظهر في الطريقة التي يعرض بها النص الديني في الكتاب المدرسي من إبراز بالخط والتلوين والتأطير وغير ذلك من الأساليب الشكلية لجذب انتباه المتعلم إلى أهمية ما يقدم له.

أضف إليها عدد الآيات والأحاديث المقدمة في التعليم المتوسط والدالة على الضبط الاجتماعي للمتعلمين من الجانب المعرفي والسلوكي والوجداني. فيمكننا أن نستنتج ذلك ببساطة كبيرة عند قراءة عناوين الوحدات التعليمية ومدى ارتباطها بالنص الديني من جهة، وإحالتها لمختلف المفاهيم والعمليات التي تبين الضبط الاجتماعي من جهة أخرى. فالنظام التربوي الحالي، في مادة التربية الإسلامية يولي اهتماماً كبيراً للضبط الاجتماعي من خلال تقديم عدد هائل _ كما ذكرنا _ من الآيات والأحاديث، خاصة في الشق المتعلم بالتنشئة الاجتماعية والدعوة إلى اكتساب قيم دينية منتجة للسلوك المعرفي والاجتماعي.

فالضبط الاجتماعي في برنامج التربية الإسلامية للتعليم المتوسط موجود من حيث الشكل في الوحدات التعليمية، ومن حيث المضمون في النص الديني، أي أن البرنامج التعليمي للتعليم المتوسط ثري في محتواه المعرفي في كل ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية والدينية والدعوة إلى القيم الاجتماعية والأخلاقية الموجهة للسلوك من أجل الامتثال للأوامر والنواهي.

قائمة المراجع والمصادر:

أولاً: المصادر.

1. القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع.

2. ابن منظور جمال الدين(1999)، **لسان العرب**، ط 03، ج 14، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3. أبو زيد محمود(1992)، **علم الاجتماع القانوني - الأسس والاتجاهات**، ط 02، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

4. أحمد لطفي بركات(1982)، **في الفكر التربوي الإسلامي**، ط 01، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية.

5. الأنصاري أريج(2009)، **دور مؤسسات التربية الإسلامية في مواجهة العولمة اللغوية**، رسالة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

6. بدوي أحمد زكي(1986)، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت.

7. الجرجاني علي (د.ت)، **معجم التعريفات**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

8. الحازمي خالد بن حامد(2000)، **أصول التربية الإسلامية**، ط 01، سلسلة المنظومة التربوية (05)، دار عالم الكتب، المدينة المنورة، السعودية.

9. حروش رفيقة(2010)، **إدارة المدارس الابتدائية الجزائرية**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر.

الحياري حسن(1993)، **أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية إسلامياً وفلسفياً**، دار الأمل، إربد، الأردن.

10. الخشاب أحمد(1968)، **الضبط الاجتماعي**، ط 02، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

11. دسوقي كمال(د.ت)، **الاجتماع ودراسة المجتمع**، ط 01، مكتبة الأنجلو مصرية، الإسكندرية.

12. زواوي فريد محمد(1977)، **المدخل للعلوم القانونية، نظرية القانون**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (ENAG)، الجزائر.

13. الساعاتي حسن(1968)، **علم الاجتماع القانوني**، ط 03، مكتبة الأنجلو مصرية، الإسكندرية.

14. الصالح مصلح(2004)، **الضبط الاجتماعي**، ط 01، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

15. عبد الجواد أحمد رأفت(1984)، **مبادئ علم الاجتماع**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

16. العمر معن خليل(2009)، **الضبط الاجتماعي**، ط 01، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

17. غيث عادل(1984)، **المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

18. محمد جابر سامية(1993)، **القانون والضوابط الاجتماعية**، ط 01، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

19. وزارة التربية الوطنية(2003)، **تعليمية التربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات المدرسية، الجزائر.

20. وزارة التربية الوطنية(2004)، **مناهج التعليم المتوسط**، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر.

21. وطفة علي أسعد والشهابعلي جاسم(2003)، **علم الاجتماع المدرسي ــ بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية**، ط 01، مؤسسة وطفة، الكويت.

22. اليماني عبد الكريم علي(2009)، **فلسفة القيم التربوية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- للإحالة على هذا المقال:

- محمد بن حليمة، (2021)، « أهمية النص الديني في تقوية الضبط الاجتماعي. مقاربة سوسيولوجية لتأثير النص الديني على الضبط الاجتماعي في كتاب التربية الإسلامية لتلاميذ التعليم المتوسط». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 488- 516.